آخرون. وفي العام ١٩٠٠، اختفى ثلاثة آخرون تحت ظروف غامضة.

٤ ـ شهدت الفترة من ١٨٨٩ الى ١٩١٨ ما مجموعه ٢٥٠٠ حالة «لينشنغ» أخرى (اختطاف مساجين وشنقهم ضد سلطة القانون). وكان معظم ضحايا الاختطاف من السود؛ كما تمّ اختطاف قلّة من أعضاء الأقليات الأخرى. ولكن لم يكن هناك سوى حالة واحدة فقط اختطف فيها يهودي، وشنق، وهي حالة ليو فرانك! وهكذا تحوّل الاستثناء الى قاعدة؛ وتحوّل الخاص الى عام؛ وتحوّلت الواقعة العابرة الى رمز عالمي مركزي! وقد أُصدر عفو عن فرانك في العام ١٩٨٦، وبرّىء اسمه.

بين حشد الحقائق ومعرفة الحقيقة

في هذه المقالة، لم نحاول ان نفرض معنى انسانياً على الحقائق بدلاً من المعنى الصهيوني العنصري اللاانساني، وانما وضعناها في سياقها التاريخي ـ الاجتماعي ـ الانساني العريض، فظهر معناها الكامن لوحده، وتكشّف لنا ان الضحايا اليهود لم يسقطوا بسبب يهوديتهم المطلقة ولسبب غير مفهوم أو ميتافيزيقي، وانما سقطوا نتيجة لمركّب من الأسباب الاجتماعية ـ التاريخية المفهومة، وان يهوديتهم لم تكن سوى عنصر واحد ضمن عناصر كثيرة؛ بل ولم تكن يهوديتهم ذاتها سوى بلورة لعناصر أكثر عمقاً؛ اذ لا يظهر اليهودي كيهودي، وانما كمراب (تهمة الدم) أو كألزاسي أو عميل ألماني أو أجنبي (دريفوس) أو شمالي علماني جامعي صاحب مصنع (ليو فرانك)؛ وان الهجوم الذي كان يتمّ على اليهود ليس مقصوراً عليهم، وانما هو هجوم موجّه ضد كل القوى المماثلة في المجتمع.

وقد ذكرنا كل هذا لا من قبيل تبرير الهجوم على اليهود، أو غيرهم من أعضاء الأقليات؛ فهذا ممّا لا يسمح به الاسلام (على عكس ما قد يتصوّره البعض، وعلى عكس ما يشاع) ولا يمكن تبريره، وانما ذكرناه من قبيل محاولة فهم الوقائع واستخلاص معناها الحقيقي. ويلاحظ اننا بهذه الطريقة نسقط عن اليهودي عجائبيته واعجازه وفرادته (التي يصرّ عليها الصهيونيون والمعادون لليهود)، ونستعيد له انسانيته. واذا ما أدركنا المغزى الانساني الكامن في واقعة ما، يكون الحزن من أجل الضحية حزناً انسانياً لا يوظف في خدمة عقيدة عنصرية استيطانية؛ اذ انه اذا سقط اليهودي (شأنه شأن أعضاء الأقليات والجماعات الاخرى) ضحيّة العنف في مجتمعه، يصبح الحل هو ان ينضمّ الى الجماعات التي تدافع عن حقوق الانسان (من أعضاء الأقليات الاخرى وأعضاء الأغلبية)، وان يناضل من اجل حقوقه داخل مجتمعه. وتصبح القضية هي كيف ندافع عن حقوق اليهود السياسية، والمدنية، والدينية (وغيرهم من الأقليات) داخل وطنهم، مثل الاتحاد السوفياتي، لا ان نطالب بتهجيرهم (أو خروجهم) كما يفعل العنصريون من الصهيونيين وأعداء اليهود.

وثمّة قضية أخرى تتجاوز اليهود والصهيونيين والمعادين لليهود؛ اذ انها قضية معرفة ذات طابع نظري، وهي علاقة الحقيقة بالحقائق. فنحن كثيراً ما نتصوّر ان الحقائق هي الحقيقة. ولذا، فنحن نحاول ان نكون «موضوعيين في رصد الحقائق». ولكن الحقائق التي أتى بها الصهيونيون كانت، كلها، حقائق موضوعية، ووقائع ثابتة، حدثت تحت سمع الناس وبصرهم.

فالصهيونيون، في أغلب الاحوال، لا يختلقون الحقائق، وانما يجتزئوها وحسب. ومن خلال اجتزائها ونزعها من سياقها يفرضون عليها المعنى الذي يريدون. وحيث انه من المستحيل ان يرصد الانسان كل الوقائع الخاصة بحدث ما، يصبح الاختيار مسألة حتميّة، ويصبح أساس اختيار الحقائق، لا الحقائق ذاتها، هو ما يشكّل مدى صدقها من زيفها. فالصدق والكذب ليسا كامنين